OPEN ACCESS
Hazara Islamicus
ISSN (Online): 2410-8065
ISSN (Print): 2305-3283
www.hazaraislamicus.com

Hazara Islamicus, Vol.:10, Issue:2,July-Dec 2021
PP: **15-23**

دور اليسر والرخاء في تنوّع الشعر العربي القديم

Role of prosperity in diversifications of ancient Arabic poetry

Dr. Qadeera Saleem
Assistant Professor, Faculty of Arabic, International University Islamabad.

Engineer Ilyas Salih
Student Kulya Al Shari'ah, Jami-a-Al Rasheed Karachi.

Abstract

Ancient Arabic poetry started its journey in the pre-Islamic era. This was a simplistic form of literary genre. Poets are sensitive creatures of nature in society. Timestamps of the living environment including poverty and prosperity in poetic thoughts are fairly distinctive. Poets under economic stress or in fearful environments have expressed their feelings in a depressing and controlled manner. A comfortable atmosphere proved more fertile for the growth and development of multiple poetic streams both in content and form. Distinctions between free and stressful environments are extensively visible in poetic works of those times. My research hypothesis has boiled down to the findings that prosperity, wealth, and a mentally comfortable atmosphere have played a major role in the diversification of ancient poetry. This I have established while quoting relevant examples from renowned poetic works of those times.

Keywords*: diversifications, prosperity, ancient Arabic poetry, renown poets,analysis.*

المقدمة: قد بدأ الشعر العربي مسيرته في العصر الجاهلي بقدر بسيط تنوّعاً، فسايرته العوامل المختلفة عبر العصور، حتي تقّدم وتطور بتيارات المجتمع، أحياناً كانت تلائم البيئة والظروف، وتقاسي حيناً آخر. الظروف القاسية تدفع المفكرين إلى سيلان الدموع، بينما اليسر يرخي لهم سدول التفنّن والتنوع .لا شك قد أدّى اليسر والرخاء دوراً بارزاً في تنّوع الشعر العربي القديم ،فسّبب الرخاء واليسر تبلور الأفكار ونضج المشاعر، حتى تقاطرت هذه المشاعر في وعاء متكامل الشكل. سأحاول في بحثى هذا أن ألقي الضوء على مدى تأثير الرخاء على تطور الشعر العربي، وتنوّعه شكلاً ومضموناً. فلذلك تناولت بعض النماذج المختارة من الشعر القديم للدراسة والتحليل،بالإضافة إلى إلقاء الضوء على أسباب هذا اليسر والرخاء، للتعرّف على مسيرة هذا التنوّع عبر العصور.

الكلمات المفتاحية: تنوّع الشعر، اليسرو الرخاء، الشعر العربي القديم، أهم الشعراء، التحليل.

تنوّع الشعر قبل الإسلام:

كانت التجارة تعتبر من معظم وسائل الترف والرخاء عند العرب، وبدأت هذه التجارة في مكة المكرمة،وكان ظهور زمزم بداية نشأتها، وله دور بارز في ترغيب الناس أن يتهافتوا إلي هذه المنطقة المقدسة واستقروا فيها، حتى جاءت قبيلة الجرهم وخزاعة و قبائل أخرى حينا بعد حين، و□ارت مكة المشرفة لها مسكنا،[1] وكانت لمكة الروبط التجارية بالطائف والمدينة الطيبة التي كانت تعرف بـ (يثرب) عندئذ. وقد اشترى بعض أثرياء قريش في الطائف البساتين وأنشأوا فيها المنازل، كانوا يسكنونها فى الصيف،[2] وحاولوا ربط الطائف بمكة فى الاعمال التجارية. بينما كان يدوي □يت يثرب في العالم في إنتاج أنواع من الأعناب والتمور التي تتخذ منهما الخمر،وكانت الخمر من أشهر الوسائل التجارية حينئذ. فسببت وفرة الخمرو كثرة شربها لمبادرة الشعراء إليها وتناولها و□فاً وافتناناً، فصار فن الو□ف أكثر معالجا ومتناولا لدى شعراء العرب، مما أدّى دفع الشعراء إلى المزيد من التنوّع في هذا الفن، على سبيل المثال بزغ امرؤ القيس أكثر الشعراء افتنانا بالخيل إذ يجد نفسه و□ورته في □ورتها فهو فارس و ملك وابن ملك، امتلك المناخ الاقتصادي الملائم لممارسة الشعر وتفننه، قد عجز الشعراء بإتيان هذا النوع من الشعربعده ، كما قال فهو يصف خيله:

وقد أغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

مكرٍّ مفرٍّ مقبل مدبر معاً كجلمود الصخر حطّه السيل من علٍ [3]

في هذه الأبيات يصف الشاعر خيله الذي كان يتوجه به إلى الصيد مبكراً قبل خروج الطيور من وكناتها، قد يصور الشاعر فرسه بصورة رائعة، فهو فرس سريع أجرد، في سرعته وهو يقيد الوحوش، وأما □ورته في الصحراء كأنه يرسم مشهداً يشاهده الناظر والمتلقي أمام العيون. وتشبيهه في □لابة خلقه بجلمود □خر تشبيه نادر يعجز الآخرين عن الإتيان بهذا النوع من التشبيه.

وفي و□ف الطير يقول:

كأنّ قلوب الطير رطباو يابسا لدى وكرها العنّاب والحشف البالي

هذا البيت بسبب الإيجاز والاختصار وحسن ترتيبه يستحق الشرف والتقدير بكل العناية والعمق، فهو يمتاز بحالتين اللف والنشر: اللف هو قلوب الطير في حالة الرطوبة وحالة اليبس، أما النشر فهو العنّاب والحشف البالي. [4]

وفي و□ف الليل حيث قال:

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِأَرْخَى سُدُوْلَهُ عَلَيَّ بأَنْوَاعِ الْهُمُوْمِ لِيَبْتَلِي

في هذا البيت يعبر الشاعر عن همه وقلقه مشبهاً بالليل المظلم الطويل،لأنّ ظلام الليل وتوحشه أكثر يحاكي أمواج البحر في تراكم ظلامه وتوحشه.

أسلوب الن□ قوي جزل، ألفاظه قوية دقيقة، تعبر عن أحاسيسه ومشاعره العميقة التي لم يتمكن من الو□ول إلى هذه الغاية إلا من له التفرغ والإلمام الخاص في هذا المجال،التفرغ الذهني لم يتيسر إلا بالمناخ الاقتصادي الملائم،كما تنوّعت غير قليل من الموضوعات الشعرية وفنونها بأثر هذا اليسر والرخاء، قد تنوّعت موضوعات المديح

بكثرة النوال والعطايا من قبل الملوك والرؤساء على من بالغ في مدحهم من الشعراء، وتفنّنت الأساليب وتجمّلت بالمحسنات البديعية. فقال الشاعر فهو يمدح ممدوحه على قدر بالغ ما أغدق عليه من الجود والكرم.

لله درّ عصابة نادمتهم يوما بجلّق في الزمان الأول
يمشون في الحلل المضاعف نسجها مشي الجمال إلى الجمال البزّل
يغشون حتى ما تهرّ كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل
يسقون من ورد البريـ ـص عليهم بردى يصفّق بالرحيق السلسل [5]

هذه الأبيات من قصيدة حسان ثابت رضي الله تعالى عنه يمدح بها ملوك الغساسنة، و لله الدر صيغة للمدح والثناء، أما العِصابة فهي الجماعة التي مدحها فهم ملوك غسان. قد صوّر الشاعر في هذه الأبيات صورة الممدوح مما تدل على أنواع من النعم وكثرة المال والثروة ، تأثرت بها البيئة من جانبين، فملبس الملك دليل على غاية الترف والرخاء مما يدفع الشاعر إلى التنوّع في الأسلوب، فهو يستخدم الأسلوب الخبرى أكثر وقعاً وتأثيراً وثباتاً مقارنا بالأسلوب الإنشائي، يشبه الشاعر ممدوحه بالجمال بقوتهم وكمال خبرتهم ورجاحة عقلهم، لأنّ البزل هو جمع البازل فهو البعير لما يصل إلى السنة الثامنة ، وكان العرب يقولون فلان رجل بازل لكماله في العقل والتجربة تشبيها بالبعير. كما قوله: يغشون: يقول: إنّ منازلهم لا تخلوا من الأضياف والطراق والعفاة حتى أنست كلابهم بكل من يقصد إليهم فلا تهر على أحد.و قوله لا يسألون عن السواد المقبل:يقول: هم في سعة ومن ثم لا يبالون بمن نزل بهم من الناس ولا يروعهم الجمع الكثيرإذا أمّوا نحوهم،يشبه الشاعر الجمع الكثير من الناس بالسواد المقبل لكثرتهم دون انقطاع التسلسل، حتى بالغوا في جودهم وكرمهم ولا يقدمون ماء النهر لمن استقى بل يُسقون هذا الماء بالرحيق السلسل. الجودة في التراكيب والتشبيهات الملاءمة ووضع الكلمات والجمل موضع المعاني المطلوبة تدل على العقل العربي البالغ قد نماء في مناخ اليسر الرخاء الملائم، كما قول الشاعر:

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ وَالرِّمَاحُ نَوَاهِلُ مِنِّي، وَبِيْضُ الْهِنْدِ تَقْطُرُ مِنْ دَمِي
فَوَدَدْتُ تَقْبِيْلَ السُّيُوْفِ لأَنَّهَا لَمَعَتْ كَبَارِقِ ثَغْرِكِ الْمُتَبَسَّمِ [6]

هذه الأبيات من قصيدة طويلة للشاعر الجاهلي عنترة، هذه القصة تعد من أجمل القصـ الجاهلية، وهذا الشاعر الفارس كان ابناً لسيد ثري بينما أمه كانت جارية تسمى زبيبة ورث عنها العبودية و سواد بشرتها، ولكن الثرى والترف ما ورث عن الأب رفض العبودية والذل إلا آن يكون شاعراً وفارساً، ورغم من مميزاته العظمية يعرف أنه حرٌ سيد، وأحب ابنة عمه عبلة، التي خصها في أبيات من قصيدته الطويلة.هذا هو اليسر والرخاء الذي أجاده في ركوب الخيل كما يجيد في فنون الالفاظ، فوق ذلك كله، فهو كان شاعراً عظيما ، رجلا مثقفا، وعسكريا ممتازا وفق التقييم العصر الذي كان يعيش فيه. ففي هذه الأبيات فهو يذكرابنة عمه بينما فهو كان في المعركة والرماح منتشرة في كل مكان، والسيوف تصيبه يقتطر دمه عليها، ولمعان السيوف ذكّره بابتسامتها المشرقة.هذا البيت مشهور ظاهره الغزل وباطنه الشجاعة والبسالة، يشبه الشاعر الفارس بريق السيوف ولمعانها بثغر عبلة هذا هو الحب الذي لا يشوبه كدر، الحب الذي لا يفارق من قلب الشاعر حتى في حمى الوطيس كأالة بيض الهند التي لا يفارقها للمعان والبياض حتى مرت بها سنون ودارت عليها رحى الحرب الزبون.

اليسر والرخاءيعطى الأفراد والجماعات فرص التفكر والتدبر في الآفاق والأنفس ويدفع الشعراء إلى مساحة تجسيد الأفكار وتنويعها، أفق الشعر الجاهلي لم يخلو عن هذه الثروة الغالية، هذا هو الشاعر زهير بن أبي سلمى قد نرى مكتبة الشعر الجاهلي غنية بإبياته الحكمية، فهو يقول:

وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُوْرٍكَثِيْرَةٍ يُضَرَّسْ بأَنْيَابٍ وَيُوْطَأْ بِمِنْسَمِ

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوْفَ مِنْ دُوْنِ عِرْضِهِ يَفِرْهُ، وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ

لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَ نِصْفٌ فُؤَادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إلاَّ □وْرَةُ اللَّحْمِ وَالدَّمِ [7]

يصانع: يرفق، يداري، يضرس: يمضغ بضرس، والضرس العض على الشيء بالضرس، كناية إلي شدة الظلم والقهر،والمنسم: خف البعير،يوطأ: يداس: من لم يجاري الناس في كثير من الأمور على الرغم من عدم موافقته واقتناعه بها فإنّه حتما سيمزق بأنياب ويداس تحت أقدامهم.فكذك من يبذل المعروف اتقاء لعرضه يوفره وينميه، ومن يعطي للناس أسباباً لشتمه فلا يلوم إلا لنفسه،فالإنسان نصفه عقل يتحكم به أما نصفه الآخر فهو لسانه ومنطقه، أما الباقي فهو مجرد جثة من لحم ودم.

ليس أدل ولا أدق من هذه الأبيات مثلا لصورة الحكمة في العصر الجاهلي، مما تدل على البيئة الملاءمة للتفكّر والتدبّر حول أمورما تنتج عن الخبرة وما دارعلي الإنسان من الدهر من اليسر والرخاء أو من الشدة والقسوة.حكمة زهير وليدة الزمن والاختبار والعقل المفكر الهادئ الذي يتطلع إلى الحياة تطلّع ر□انة وتقيّد بسنن الأخلاق الخا□ة والعامة، وهكذا فالشاعر رجل المجتمع الجاهلي الذي يعمل على التوفيق بين الروح الجاهلية والنزعة الإنسانية في سبيل سعادة فردية واجتماعية.أسلوب زهير في الحكمة أقرب إلى الأسلوب التعليمي في هدوئه ور□انته وجفافه، فنلمس الر□انة في الوزن الشعري وفي حسن اختيار الألفاظ والعبارات و في الوضوح الفكري والسهولة الأدائية.

تنوّع الشعر بعد الإسلام:

لماجاء الإسلام تنورت الأذهان وتغيرت الأفكار و□لحت القلوب و اختلفت الأهداف، وانقسم أهل مكة المشرفة إلى فئتين، فئة □الحة لبت الى الحق وقبلت الدعوة الإلهية، أما الثانية فهي انحرفت عن الحق و اتخذت عداوة الاسلام والمسلمين غايتها، وذلك أدى إلى الضعف التجاري، ففى بداية الدعوة الإسلامية تعاقب على الاوضاع التجارى لمكة ارتفاع وانخفاض، و بعد مدة هاجر الرسول الكريم عليه الصلوات والتسليمات إلي المدينة المنورة, و بعد ذالك احتاجت إلى تغيير طريقها التجاري, فاختاروا طريق العراق مكان طريق الشام, ولما من الله على أهل الإسلام بفتح مكة المعظمة أخذت التجارة □فحة جديدة لمكانة الأمن والسلامة, حيث أوعد الإسلام قطاع الطرق بالوعيد الشديد, كما قال الله سبحانه:

"إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ" المائدة:٣٣

ومما أدّى إلى تطورالتجارة بمكة المعظمة بعد الإسلام أداء الزكاة التي لها دور كبير في □لاح المجتمع كما قال الله جل وعلا:

"وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ" البقرة: ١١٠

وتحريم الربا كما في قوله تعالى :

يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ"البقرة: ٢٧٦.

قد كان أهل مكة – في جاهليتهم– يعولون كثيرا على الربا أحيانا يبلغ أضعاف القرض نفسه، فتؤكل بذلك أموال المدين وتذهب حقوق الأفراد، فأعلن الرسول ﷺ في حجة الوداع إسقاط ربا عمه العباس ، وكان لمنعه ﷺ عن احتكار الطعام رغبة عظيمة في تسهيل التجارة.

ففي هذه الظروف الاقتصادية بالإضافة إلى العوامل الأخرى الدينية والفكرية لم تتيسر للفكر العربي المناخ الملائم للممارسة الشعرية وافتنانها، إذا هم يجولون في مسار الفخر والهجاء فمعاجلتهم هذه كانت للدعوة والإرشاد، والجهاد في سبيل الله والدفاع عن الإسلام والمسلمين، خير دليل على ذلك شعر سيدنا حسان بن ثابت ﷺ مما يدور حول هذا المجال، حيث قال:

عَدِمْنَا خَيْلَنَا إنْ لَمْ تَرَوْهَا تُثِيْرُالنَّقْعَ مَوْعِدُهَا كَدَاءُ

يُبَارِيْنَ الأَسِنَّةَ مُصْعِداتٍ عَلَى أَكْتَافِهَا الأَسَلُ الظِّمَاءُ

تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ تُلطِّمُهُنَّ بِالْخُمُرِ النِّسَاءُ

فَإِمَّا تُعْرِضُوْا عَنَّا اعْتَمِرْنَا وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ

وَإِلاَّ فَاصْبِرُوْا لِجِلاَدِ يَوْمٍ يُعِزُّ اللهُ فِيْهِ مَنْ يَشَاءُ [8]

في هذه الأبيات حسان بن ثابت ﷺ يهجوا الكفاروالمشركين دفاعاً عن الإسلام والمسلمين ملَبّياً لأمر النبي ﷺ في ميدان الحرب عند فتح مكة مستخدماً شعره وسيلة الإعلام.

عدمنا خيلنا: أسلوب دعائي الغرض منه التأثير والوقع على المسامع والقلوب، تثير النقع : كناية عن اشتداد المعركة . فيهدد الشاعر الكفار والمشركين بحرب ينتصر فيه الحق قائلا: ماتت خيولنا إن لم تهاجمكم عند " كداء". بقرب مكة. ففي اليت الثاني يبارين الأسنّة: كناية عن سرعة الخيل واستعدادهم للقتال وفي نسخة يبارين الأعنة: هو جمع العنان أي أنها تجاري الأعنّة في اللين وسرعة الانقياد. الأسل الظماء : شبه الشاعر الرماح بالإنسان ولم يذكره بل ذكر العطش الذي هو من لفات الإنسان, فهذه استعارة مكنية. الشاعر يصف الخيل بأنّها مسرعة في الصعود، متحفزة لقتال العدو، على أكتافها رماح المسلمين المتعطشة لدماء الكفار، وهوّل في ولفها ليخيف العدو. أما البيت الثالث ففيه كلمة تلطمهن بالخمر: كناية عن انهزام المشركين و بقاء نسائهم. وفي البيت الرابع انكشف الغطاء: يعبر به الشاعر عن إزالة العداوة, ففيه استعارة تصريحية. في البيت الخامس يهدد الشاعر الكفار والمشركين.

تنوّع الشعر في العصر الأموي:

في العصر الأموي تضخمت الثروات بزيادة الأموال التي كانت تنقل من البلاد المفتوحة والأعطيات التي كان يبذلها الأمراء من بني أمية، و بالتالي فتوسع النشاط التجارية و كثرت الأموال وانتشرت البساتين والحقول في البلاد المختلفة و فاضت الأسواق بأنواع من الخضراوات والحبوب و قسم الخلفاء على الناس أموالا عظيما،[9] وهذا الاهتمام

التجاري والاقتصادي قداتسع مجاله إلي جميع ساحات الدولة الأموية. هذه كثرة المال ووفرة الثروة دفعت الشعراء إلى التفنن والتنوّع في انسجام الشعر وتقريضه ، فأخذ الشعراء أن يتناولوا هذا الفن بكل الاهتمام والعناية مقارناً بعصر □در الإسلام. ولقد امتاز الشعر الأموي بعدّة خصائ □ خلال هذه الفترة ومن أهمها : استقى الشعراء مفرداتهم من المعجم الإسلامي، والتزم الشعراء الأمويون بالقافية الواحدة والوزن الواحد، جزالة الألفاظ وقوة التراكيب في جسم القصيدة تعتبر امتداداً لقوة القصيدة الجاهلية.كان الشعر الأموي بمثابة تاريخ حقيقي لما حصل من وقائع حربية وأحداث تاريخية. ظهور شعر النقائض نتيجة اليسر والرخاء وتوسّع المال والثروة وفرسان هذا الصنف الشعري هم: جرير، والفرزدق ، والأخطل. تميّز النقائض بأنّها قصائد طويلة تستوعب المعاني ، وتكشف عن مثالب قبيلة الخصم وخصالها وتستقصي أحداث حياته وتنتقدها. في النقائض الشعرية ينظم الشاعر قصيدة في الفخر أو الهجاء على وزن وقافية ، فيرد عليه شاعر آخر بقصيدة أخرى ينقض بها فخره وهجاءه بنفس الوزن والقافية،مما يعطي المتلقي □ورة التفرّغ الذهني والعقلي والمالي في العصر الأموي، قدغنى النقائض بالمعاني اللغوية ، حتى قيل لو لا الفرزدق لضاع ثلث اللغة. [10] النقائض خير دليل على تفتح ذهن الشاعر العربي في استنباط الصور وتبسيطها، فهو سجلّ تاريخيّ لكلّ شاعر من الشّعراء وخير دليل على ووفرة المال والمناخ الاقتصادى الملائم لتفنن الشعر والأدب، فمن أمثال هذا التنوّع الشعري:

هجاء الفرزدق لجرير:

إنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَىَ لَنَاَ بَيْتاً دَعَائِـمُهُ أعِزُّ وَأَطْوَلُ
بَيْتاً بَنَاهُ لَنَاَ الْمَلِيْكُ وَمَا بَنَى حَكَمُ السَّمَاءِ فإنَّهُ لاَ يُنْقَلُ
حُلَلُ الْمَلُوْكِ لِبَاسُنَا فِيْ أَهْلِنَا وَالسَّابِغَاتِ إلى الوَغَى نَتَسَرْبَلُ
أَحْلاَمُنَا تَزِنُ الْجِبَالَ رَزَانَةً وَتَخَالُنَا جِنَّاً إذَا مَا نَجْهَلُ[11]

هذه الأبيات من نقائض الفرزدق لجرير، واستخدم في البيت الأوّل الأسلوب المجاري الأكثر وقعا وتأثيرا وافتخر بقبيلته و قال إن قومه أعز و أشرف من قول جرير, واستخدم " بيتاً دعائمه أعز وأطول" : كناية للنسب الرفيع والمكانة العالية في المجتمع.في البيت الثاني المليك هو الله سبحانه تعالى،يقول الشاعر بأنّ الله سبحانه تعالى بنى لنا هذا البيت يعني أعطى لنا العزّ والشرف ليس من الممكن لأحد أن يزول هذا العزّ والشرف ولا يستطيع أحد أن يقلل من مكانته،هنا حكم السما:كناية لأمر الله سبحانه وتعالى. في البيت الثالث يفتخر الشاعربمكانة قبيلته و ملابسهم. أمّا "حلل الملوك لباسنا": فهوكناية إلى مكانة عظيمة عما يتصف به رجال قبيلته، و"السابغات إلى الوغى نتسربل ": شبه الشاعر الدروع بالملابس ولم يذكر المشبه به, فهي استعارة مكنية [12] وذكر بعض لوازم المشبه به بقوله " نتسربل" وهذه كناية ، [13]عن القوة والشجاعة والبسالة.أما البيت الرابع ففيه يفتخر الشاعر برجاحة عقول قبيلته.

فيجيبه جرير

إنَّ الَّذِيْ سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا عِزاًعَلَاكَ، فَمَا لَهُ مِنْ مُنْقِلِ
إنّي إلَى جَبَلَيْ تَمِيْمٍ مَعْقِلِي وَمَحَلُّ بَيْتِيْ فِيْ اليَفَاعِ الأَطْوَلِ
أَحْلَامُنَا تَزِنُ الجِبَالَ رِزَانَةً وَيَفُوْقُ جَاهِلُنَا فَعَالَ الْجَهْلِ

أَعْدَدْتُ لِلشُّعَرَاءِ سُمّاً نَاقعاً فَسَقَيْتُ آخِرَهُمْ بِكَأسِ الأَوَّلِ

في البيت ي الأول افتخر الشاعر بقبيلته وعلو منزلتها، فهو يرد على هجاء الفرزدق ويقول متفاخراً إنّ الله سبحانه وتعالى مجدهم و أكرمهم بالعز و الشرف الدائم.

وفي البيت الثاني افتخر بتميم وبين مكانتهم العالي وعزهم و مجدهم. وفي البيت الثالث افتخر الشاعر شبه عقول قبيلته بالجبال الثابتات و بين أنهم أولو بأس شديد فشبه الهجاء بالسم الهالك بجامع الشدة, وقد □رح بالمشبه به فهي استعارة تصريحية.

هذا هو الفن الّذي يشتغل فيه الشاعرأكثر فأكثر مقارنا بالهجاء، مستغرقا مدة غير قليل، مستغنيا عما يتعلق بالاكتساب من المال والقوت،حيث يتطلب هذا الفن المكتبة الثرية والمساحة الخصبة من الجانبين في العلم والأدب والتّفرغ الذهني والفكري، لم يتمكن الشاعر من الو□ول إلى المرمى إلا بالفراغ من الهموم بأنواعها.

تنوّع الشعر في العصر العباسي:

بعد أن سيطر العباسييون على الخلافة عملوا على توطيد أركان الدولة الإسلامية، من ثم بدأوا بالاهتمام البالغ بالحياة الاقتصادية من جوانبها الزراعية والتجارية والصناعية،فاهتموا بتنظيم قطاع الزراعة وتطوير نظم الري من إقامة السدود والترع وغير ذلك.وكان للتجارة اهتماماً بالغا وكان لهذا التطور التجارى دور في النهضة العلمية والفنية. بالإضافة إلى ذلك يعتبر العصر العباسي عصر الرخاء والنماء، واعتناء العباسيين بالتجارة والوسائل الأخرى لكسب المال والاقتصاد و وجود أسواق متخصصة متنوعة للتجارة خير دليل للنموالتجاري والتطورالحضاري في القرن الثالث الهجري[14]. هكذا كانت خزائن العباسيين تفيض بالأموال التي كانت تجبى من الضرائب. الشعر من أوائل الأمور التي تتأثر بالحياة اليومية وما يكتنفها من تفاعلات وأحداث وما يجري عليها ما يغير مسارها ومنهجيتها سلباً أو إيجاباً تبعا للأحداث، وذلك لأنّ الشعراء هم أعلى طبقة في المجتمع البشري في أحاسيسهم وانفعالاتهم النفسية والقلبية والفكرية السامية الرقيقة تبثق مما يشعرون به من خلال تعاملهم مع الحياة ومع الآخرين والطبيعة والظروف، وكما كانت الحياة في ذلك العصر قد تطورت كثيراً فلاغرو أنّ الشعر تطور تطوراً واسعاً تبعا لتطور الحياة و منافذها واتّجاهاتها[15]. والشعر يدخل من كل المنافذ ويخرج باتجاهات شتى ويسمو في كل الاتجاهات وكأنّه شذى عبق في مهب نسيم عليل.النهضة الاقتصادية والحياة المترفة التي عاشها الخلفاء، فقد زادت عطاياهم للشعراء وازدهر بذلك فن المديح:

وفيما يلي أهم التطورات الحادثة على قصيدة المديح في العصر العباسي بتأثّر الرخاء الاقتصادي والترف، فكان المديح في ذلك العصرذا طابع تكسبي، خير دليل على ذلك قول مروان بن أبي حفصة في مدح المهدي حيث قال:

هَلْ تَطْمِسُون مِنَ السَماءِ نُجُومَها بِأكفِّكُم أو تَسْتِرُون هِلَالَها
أو تَحْجُبُون مَقَالةً عَن رَبِّكُم جِبرِيْلُ بَلَّغَها النَبِيَّ فَقالَها
شَهِدَتْ مِنَ الأَنْفَالِ آخِرُ آيَةٍ بِتُراثِهِم فَأَرَدْتُمْ إبْطَالَهَا

و قد أمر الخليفة المهدي لمروان مقابل هذه الأبيات التي عددها مائة بمائة ألف درهم. وكما نما نتيجة لهذا الترف شعر الغزل والمجون ونما كذلك شعر الزهد مضاداً للمجون والتهتك، و نتيجة لاطلاع الشعراء على الثقافات

الجديدة تطور الأسلوب الشعري في العصر العباسي. بسبب اليسر والرخاء فنجد أنّ الشعراء قد مالوا إلى الأساليب اليسرة المفهومة [16].

فمن أشهر الشعراء الذين ظهروا بإبداع الفنون الشعرية وأساليبها؛ هم أبوتمام ، المتنبّي، أبوا نواس، أبو العتاهية والبحتري وغير ذلك. وكان هولاء الشعراء يستعملون المحسّنات البلاغية والبديعية من الطباق والجناس والتشبيه والاستعارات وغير ذلك، كما في قول البحتري:

أتَاكَ الرَّبِيْعُ الطَّلْق يَخْتَالُ ضَاحِكاً مِنَ الْحُسْنِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَا
وَقَدْ نَبَّه النَّيْرَوْزُ فِيْ غَلَسِ الدُّجىَ أَوَائِلَ وَرْدٍ كُنَّ بِالْأَمْسِ نُوَّمَا
يُفَتِّقُها بَرْدُ النَّدىَ فَكَأَنّهُ يَبُثُّ حَدِيْثاً؛ كَانَ قَبْلُ مُكَتَّمَا
وَمِنْ شَجَرٍ رَدَّ الرَّبِيْعُ لِبَاسَهُ عَلَيْهِ كَمَا نَشَّرْتَ وَشْيًا مُنَمْنَمَا
وَرَقَّ نسِيْمُ الرِّيْحِ حَتَى حَسِبْتُهُ يَجِيءُ بِأَنْفَاسِ الأَحِبَّةِ نُعَّمَا

يستهل الشاعر هذه الأبيات في □ورة تشخيصية دقيقة حيث جعل فصل الربيع إنساناً وأسبغ عليه متعلقات هذا الإنسان من خصيصة الضحك المصحوب بالزهو والانشراح:" يختال ضاحكا"من الحسن وخصيصة النطق باعتماد فعل الكلام حتى كاد أن يتكلما، ثم ذكر الشاعر □ورة أوائل الورد:" الندى مع البرودة " كما شخصت الورود بفعلي النوم والصحو، هما خصيصتان متلازمتان للكائن الحي، فأما الشجر قد رسمه الشاعر وكأنه عارياً ثم كسي بفضل الربيع، وتستوقف القارئ □ورة أخرى تجعل المشهد متكاملا أنّها □ورة" نسيم الريح" الذي يحمل دلالات الرقّة والعذوبة.

خاتمة البحث: بعد الدراسة والبحث و□لت إلى نتيجة بأنّ دور اليسر والرخاء في تطور العلوم والفنون لا يخفى على أحد من الدارسين والباحثين، غير أنّما لم يخلو ميدان الشعر والأدب من ممارسة الصعاليك والفقراء، ولكن ليس من الممكن التنوع والتطور في هذا المجال إلابالتفّرغ الذهني و التوفّر المالي، كما في العصر الجاهلي بزغ امرؤ القيس أكثر الشعراء افتنانا بالو□ف بأنواعه، فهو كان ملكا ويمتلك المناخ الاقتصادي الملائم لممارسة الشعر وتفننه،كما عنترة الشاعر الفارس كان ابناً لسيد ثري وكان □احب المال والثروة ، وتتوفرله اليسر والرخاء، فأجاده في ركوب الخيل وفنون القتال كما يجيد في فنون القول ونظم القصيدة وتفنن في الأسلوب .هكذا ظهر فن النقائض في العصر الأموي، ظهور شعر النقائض نتيجة لليسر والرخاء وتوسّع المال، مما يعطي المتلقي □ورة التفّرغ الذهني والعقلي ،و التوفيرالمالي في العصر الأموي، بالإضافة إلى ذلك يعتبر العصر العباسي عصر الرخاء والنماء مما أدّى إلى تطور الحياة البشرية، هذا التطور أثّر على الشعراء تأثيراً بالغاً، واعتنى الخلفاء بالشعر عناية خا□ة وأخذوا الإغداق على الشعراء من العطايا والنوال مما أدّى إلى التفرغ الذهني، حتي انغمسوا في التفنن بالأساليب الشعرية، وألبسوا الشعر خلة التجديد في اللفظ والمعني، وتوّسعت المحسنات اللفظية والمعنوية وتكاترت الفلسفة والحكمة ، وتنوّعت المو ضوعات، فاشتغل الشعراء والنقاد في التنافس الفني و الفكري. وفي النهاية لا نبالغ إذ نقول بأنّ التطور الفني والفكري في الشعرالعربي ثمرة لليسر والرخاء.

هذا وبالله التوفيق

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

الهوامش *(References)*

[1] الأزرقي، مُحَمَّد بن عبد الله، أخبارمكة وما جاء فيها من الآثار، ط3، دار الثقافة، مكة،١٩٧٨م،ج١،ص٩٠-١٠٧.

[2] البلاذرى، أحمد بن يحي، فتوح البلدان،دار الكتب العليمة، بيروت،ص٦٨

[3] الدكتور، طاهر أحمد مكي، امرؤ القيس، حياته وشعره، ط٦، دار المعارف، القاهره،١٩٩٣م،ص٢٠٠

[4] عبد القاهر الجرجاني،إسرار البلاغة

[5] عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان حسّان بن ثابت، ،ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٤م،ص٢٢٥

[6] أبو عبد الله الزوزني، شرح المعلقات السبع،ط١،دار أحياء التراث العربي،بيروت،ص٢٣٩-٢٤٤.

[7] الدكتور، شوقي ضيف،تاريخ الأدب العربي،(العصر الجاهلي)، دار المعارف، القاهره، ص٣٠٠. للمزيد من التفصيل يُنظر:الأغاني،ج١٠،ص٣١٤،و الشعر والشعراء،ج١،ص٩٢

[8] عبد الرحمن، البرقوقي، شرح ديوان حسّان بن ثابت، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٤م،ص٣٩

[9] الأزرقي، أبو الوليد مُحَمَّد بن عبد الله، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار،ط٣، مطابع دار الثقافة،مكة المكرمة،١٩٨٧م،ج٢،ص١٦٩

[10] الشايب،أحمد، تاريخ النقائض في الشعر العربي،ط٣،ج١، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٨م،ص٣

[11] مجيد، طراد، شرح ديوان الفرزدق،ط٢،دار الكتاب العربي،بيروت،١٩٩٤م،ص٨

[12] الخطيب، جلال الدين القزويني،الإيضاح في علوم البلاغة،دار الكتاب العربي، بيروت.٢٠٠٨م،ص١٩٤

[13] نفس المرجع،ص٢٢٥

[14] ابن فهد،النجم عمر بن فهد بن مُحَمَّد،إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ط١، مركز البحث العلمى بجامعة أم القرى،مكة المكرمة،١٩٨٤م،ج٢، ص٣٨٥.

[15] ناظم رشيد، الأدب العربي في العصر العباسي،مديرية دار الكتب والنشر، مو□ل،١٩٨٩م،ص٧٢

[16] مدينة الزبير، الشعراء البدو في العصر العباسي الأول،جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، السودان،ص ١٨٤-١٨٥